



الخطابُ القرآنيُّ لسيميولوجيا العلاقة بين التناسب والنص والسياق لأفق المعنى

م.د. حسين كريم جواد سمين الكلابي

المُلخَص

من المعلوم أنَّ الخطابَ القرآنيَّ هو كلامُ الله تعالى الموجودُ بينَ دفتيّ القرآن الكريمِ ، والخطابُ يستلزمُ وجودَ مخاطِبٍ وهو اللهُ تعالى ، ومُخاطَبٍ وهو الإنسانُ ، وهناك أهدافٌ مرجوةٌ من وراءِ أيِّ خطابٍ فيها من القصدِ المبتغى إيصاله عن طريقِ الرسولِ إلى أمةٍ من الأممِ هذا من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ فيه من الدقةِ المتناهيةِ في إصابةِ المعنى لدرجةٍ عاليةٍ جدًّا وهو فوقَ مستوى البشرِ ، إذ لا يمكنُ إدراكُ تلكَ المعاني إلا لمن كان متدبرًا وملمًا بعلمِ النحوِ ، فقد أنزلَ اللهُ سبحانه وتعالى القرآنَ الكريمَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، وتحدَّى به قومًا برعوا في لغتهم وتفاخروا بها أيما افتخار.

إنَّ فهمَ الخطابِ القرآنيِّ يساعدُ على تحقيقِ الفائدةِ ، ومعرفةِ المرادِ من الرسالةِ التي يريدُها القرآنُ المجيدُ لنقلِها إلى البشريةِ .

الكلمات المفتاحية: الخطاب، التناسب، النص، المعنى.

Summary

It is known that the Qur'anic discourse is the word of God Almighty located between the two ends of the Noble Qur'an, and the discourse requires the presence of an addressee who is God Almighty, and an addressee, who is the human being. On the one hand, and on the other hand, it is extremely accurate in striking the meaning to a very high degree and it is above the human level

Realization of these meanings except for those who were deliberate and familiar with the science of grammar, for God Almighty revealed the Noble Qur'an in a clear Arabic tongue, and it was challenged by people who excelled in their language and took pride in it with whatever skill.

Understanding the Qur'anic discourse helps to achieve benefit, and to know the meaning of the message that the glorious Qur'an wants to convey to humanity

Key words: discourse, proportionality, text, meaning

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد وعلى آله
الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار المنتجبين.

أما بعد :

فإن للقرآن الكريم الأثر الرئيس في نشأة الكثير من العلوم وفي مقدمتها
التفسير، وعلوم القرآن، وأسباب النزول، والقراءات، وإعجاز القرآن، واللغة
والنحو والبلاغة، وغير ذلك.

وكانت هذه العلوم ترمي إلى فهم القرآن الكريم، واستنباط أحكامه، وقد
اقتضى ذلك من العلماء رؤيا شاملة للنص القرآني تتم فيها مراعاة التناسب بين
الألفاظ، والنص، والسياق، ففسروا القرآن بالقرآن والسنة، وأسباب النزول، فضلاً
عن لغة العرب.

ومما لا شك فيه أن علاقة الألفاظ ببعضها بعضاً أثراً مهماً في الدراسات
اللغوية القديمة، والمعاصرة؛ فدالات الألفاظ في القرآن الكريم تبقى غامضة قابلة
للاحتمالات، ولا تظهر دلالاتها إلا عن طريق السياق على الرغم من أنه قد تبقى
بعض الدلالات احتمالية في الجمل مع وجود اللفظة داخل السياق ويمكن تفسير
ذلك بأنه يدخل ضمن الإعجاز القرآني لكتاب الله عز وجل.

ركزت في هذه الدراسة في السياق والتعريف به ، لدوره البالغ في كونه ركيزة
مهمة في تبين أثر الخطاب القرآني في كلام الله تبارك وتعالى على الرغم من أنه معلوم

لدى الجميع ؛ والسبب يرجع في ذلك ؛ كونه العامل الرئيس في الكشف عن التناسب بين الألفاظ ، وعلاقتها بالنص ، فهما يخضعان لما يمكن تسميته بالقربة العامة (السياق) ، ومن الممكن أن ينضوي تحته: (التناسب ، والنص) .

وسم هذا البحث بـ(الخطاب القرآني لسيميولوجيا العلاقة بين التناسب والنص والسياق لأفق المعنى).

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مباحث صغيرة ابتدأتها بالتعريف بالسياق لغةً واصطلاحاً، وأعقب ذلك بالحديث عن أنواع السياق، ثم أركان السياق ، وبعده السياق القرآني ، وأخيراً أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى، ثم أعقب ذلك بخلاصة أوجزت فيها ما هدف إليه هذا البحث، ثم اختتمت ذلك بقائمة المصادر والمراجع التي أعانتي في دراسة الموضوع ، واستهديت بها في كتابة هذا البحث. والله ولي التوفيق.

أولاً: التعريف بالسياق لغةً واصطلاحاً:

أ / السياق لغةً:

المتصفح في معجمات اللغة يجد أنَّ الجذر اللغوي للسياق هو (سَوَقَ)، قال ابن فارس: «السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء. يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسَّيْقَةُ: ما أسبل من الدواب. ويقال: سقت إلى امرأتي صدأها، وأسقتها. والسوق مشتقة من هذا، لما يُساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره والجمع سُوق، وإنَّما سميت بذلك لأنَّ الماشي ينساق عليها»^(١).

وقال ابن منظور: «انسأقت وتسأقت الإبل تسأوقاً إذا تابعت... والمساوقة:

المتابعة كأن بعضها يسوق بعضًا»^(٢).

فالسباق - إذن - يعني التوالي والتتابع.

ب / السباق اصطلاحًا:

لعلنا لا نغالي إذا ما قلنا إن ورود لفظ السباق في التراث العربي بهذه الصيغة وبصيغ أخرى، يستعمل استعمالات سياقية مختلفة وقابلة لتعدد الفهم^(٣)، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن العلماء القدماء لم يثيروا إليه صراحة، وإنما استعملوه في تبين المعاني وغير ذلك؛ لأن زوايا النظر إلى هذا المصطلح متباينة بين النحويين والأصوليين والبلاغيين وغيرهم، ولا نريد الخوض هنا بتلك التباينات؛ لأنها ليست محل البحث وموضعه. وآثرت هنا أن أذكر تعريفًا للسباق للدكتورة ريم الجرف أحسبه دقيقًا، إذ تقول: «السباق هو سياق الكلمة الصعبة هو ما يحيط بها من نص. وقد يكون السباق عبارة أو جملة أو فقرة أو فصلاً كاملاً وهناك سياق سابق ويكون قبل الكلمة الصعبة، وسباق لاحق ويكون بعد الكلمة الصعبة. وهناك عدة أنواع من السباق منها: السباق النحوي، والسباق الدلالي، وسباق الموقف.. والسباق المعرفي... والسباق الاجتماعي وغيرها»^(٤)، أما المعنى السياقي فهو «المعنى الذي تكتسبه المفردة اللغوية سواء كانت كلمة أو جملة من النص الذي ترد فيه»^(٥).

يتضح من التعريف المذكور آنفًا أن السباق هو تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة لأداء المعنى الذي يقصده المتكلم من الكلام، والذي من طريقه يُعرف التناسب بين الألفاظ والنص لأفق المعنى.

ثانيًا: أنواع السباق:

يظهر جلياً للناظر في كتاب دلالة السياق القول الآتي: «السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه وما يلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه بمعنى أن هناك سياق آية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى»^(٦).

من هذا النص نستدل على أن أنواع السياق هي:

١ - سياق الآية.

٢ - سياق النص.

٣ - سياق السورة.

٤ - سياق القرآن.

فمن نص الآيات نصل لسياق المعنى^(٧)، وما يهمننا هو سياق النص الذي من طريقه نصل الى التناسب بين الألفاظ ، وعلاقة السياق بالنص وتتجلى تلك الأمور بالخطاب القرآني .

ثالثاً: أركان السياق:

قال الرازي: « ركن الشيء جانبه الأقوى »^(٨)، فركن الشيء هو جانبه الذي لا يقوم إلا به. وفيما يأتي توضيح موجز لأركان السياق:

الركن الأول: السباق: قال ابن فارس: « السين والباء والقاف أصل واحد

صحيح يدل على التقديم»^(٩).

عن يسيع الحضرمي^(١٠) قال: كنت عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال رجل: (يا أمير المؤمنين أرايت قول الله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (سورة النساء: من الآية ١٤١)، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون) قال له علي: ادنه، ادنه، ثم قال: «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» (سورة النساء: من الآية ١٤١)، فبين علي أن محل إشكال السائل محدد باليوم الآخر بدلالة السباق، وهو في قوله تعالى: «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١١).

الركن الثاني: اللحاق: قال ابن فارس: «اللام والحاء والقاف، أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره، يقال: لحق فلان فلاناً فهو لاحق وألحق بمعناه...، وربما قالوا: لحقته اتبعته، وألحقته وصلت إليه...»^(١٢).

وقال الزبيدي: «وتلاحقت الأخبار: تتابعت، وكذا أحوال القوم»^(١٣)، يتضح مما سبق أن اللحاق هو الكلام الذي يبين معنى ما قبله.

والشواهد على ذلك كثيرة منها: عن قتادة^(١٤) في قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» (سورة المائدة: من الآية ١١٦)، متى يكون ذلك؟ قال: يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول: «هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» (سورة المائدة: من الآية ١١٩)^(١٥).

فقوله: «هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» لحقت الآية المسؤول عنها، فحددت وقت الحدث وهو يوم القيامة.

الركن الثالث: ألفاظ الكلام: وهذا الركن يقوم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المفردات: لأنَّ « النظر في مفردات النص الأدبي من أوجب ما يجب على مفسره ودارسه، لأنَّها مفتاح النص وزمام ما فيه من دقيق المعاني وخفي الإشارات»^(١٦).

فلكل كلمة معنى^(١٧)، وقد أدى اهتمام العلماء بمعنى المفردة إلى أن يهتموا بحروفها التي تتركب منها، فكانوا يلاحظون بهذا التناسب بين الألفاظ والمعاني... إلخ، ثم إنَّ التناسب بين المفردات يقودنا الى معرفة المعنى بكل يسر من دون عناء .

القسم الثاني: هيئة الكلمة: وذلك عن طريق معرفة تصريفها واشتقاقاتها؛ إذ إنَّ المعاني تختلف باختلاف ذلك.

القسم الثالث: النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقاتها ببعض^(١٨).

ولا شكَّ في أنَّ السياق يكشف عن معنى المفردة ودلالة هيأتها، ثم يحدد علاقة المفردة في الجملة، وعلاقات الجمل ببعضها، وبعد ذلك كله تتبين دلالة الألفاظ على المعاني.

فالسياق هو أشبه بالكائن الحي من حيث اتساق أعضائه، فهو كيان لغوي ذو وجود من حيث إنَّه يظهر في جملة العلاقات المعجمية والتركيبية التي تسم النص بالانتظام والترابط والتماسك سواء في داخله أم مع الموقف المقول في النص، وهذه المواقف إذا كانت مترابطة ومتسقة بشكل جيد فإنها تهبئ ظروفًا لاستناد بعضها إلى بعض.

وقد ظهر لنا جليًّا كيف أنَّ السياق يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة

واللاحقة.

رابعاً: السياق القرآني:

لا يخفى على ذي لب أنَّ معاني الكتاب الحكيم جاءت على أوفق نظام، وأشد رباط، متماسكة فيما بينها ينادي بعضها بعضاً، فالمعنى المبدوء به موضح بما بعده، والمختوم به مُبَيَّن بما سبق، وما توسط أبان وجهه الطرفان، هذا ما يقره العقل^(١٩).

قال الشافعي في كتابه البكر (الرسالة): «وتبتدئ العرب الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله»^(٢٠)، والقرآن نازل على لغة العرب، فالنظر فيه لا بد أن يرتبط بأسلوب العرب.

وقال الزركشي: «والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقَّت له»^(٢١). فجمال الخطاب القرآني يكمن في الترابط المعنوي لبنية المفردة القرآنية وتألفها مع أختها لتكوين نسيج لغوي بنيوي للسورة القرآنية^(٢٢).

إذا أنعمنا النظر في النصين المذكورين آنفاً اتضح لنا جلياً أنَّ النصَّ القرآني هو تتابع للمفردات والجمل والتركيب القرآنية لأداء المعنى القرآني بحيث يكون هناك تناسب، وحتى أشبه ذلك أقول: إذا أردنا الصعود الى سطح منزل ما عن طريق سلم يتكون من مجموعة من الخطوات لمعرفة شيء معين أو لغرض معين، فإن صعود ذلك يستلزم منا المرور بالخطوة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة بالتوالي وصولاً الى الغرض المنشود، وهذا التناسب هو سمة من سمات الخطاب القرآني فلا تستطيع أن

تسلخ مفردة من جملة أو جملة عن جملة أخرى، لأنك ستصل الى طريق مسدود من المعاني غير المترابطة.

فالسورة وحدة متماسكة متوالية الحلقات تدور في موضوع واحد في كلام متصل . ولالإمام الصادق(عليه السلام) إطلالة جميلة لما نحن بصدده أثرت أن أجعلها هنا، قال الإمام الصادق: « يا جابر إن للقرآن بطنًا، وللبطن ظهرًا، ثم قال: يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه، إن الآية لتنزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه» (٢٣).

يعد المعنى القرآني اللبنة الأساس في قواعد التفسير لكتاب الله العزيز، لأن جميع العلوم الشرعية بتفرعاتها المختلفة تدور ضمن السياقات سواء أكانت نصوصًا أم مفردات، ويدور التناسب بين المفردات حول معاني ألفاظ هذه العلوم باحثًا عن استنتاجات عن طريق التفكير والتدبر العميق، ليصل الى أغراض موضوعية تجاه الإنسانية (٢٤).

يقول الدكتور المثنى عبد الفتاح محمود في تعريف السياق القرآني بأنه: « تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، من دون انقطاع أو انفصال» (٢٥).

ويتضح لنا من هذا التعريف المذكور آنفًا أن آيات القرآن الكريم على تعدد معانيها بل وألفاظه جزء كامل لا يتجزأ من الخطاب القرآني وهذا التكامل والترابط والتناسق والانسجام يدخل في الإعجاز القرآني لكتاب الله الحكيم.

خامسًا : التناسب :

ما يعيننا في هذه الفقرة توضيح معنى التناسب بما يفني من الإبانة منه من حيث استعماله قرينة ووسيلة لاستجلاء حقيقة الخطاب القرآني :

أ / التناسب لغة : قال ابن فارس : « النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها شيء بشيء منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به . تقول: نسب أنسب. وهو نسب في الشعر الى المرأة كأنه ذكر يتصل بها » (٢٦) .

ب / التناسب اصطلاحاً : ونحن نفتش في بطون الكتب نجد تعريفات كثيرة للتناسب منها تعريف البقاعي ، إذ يرى بأنه « علم تعرف منه علل الترتيب » (٢٧) ، أو هو في الاصطلاح العام لمناسبات القرآن الكريم يمكن أن نسميه المعنى الذي يربط بين السورة وآياتها (٢٨)

أما علم التناسب فهو « معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض » (٢٩) .

يقول القاضي أبو بكر بن العربي عن التناسب هو « ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، منسقة المعاني، منتظمة المباني » (٣٠)

من طريق ما مر ذكره آنفاً يمكننا أن نستجلي حقيقة أن المعنى اللغوي والاصلاحي يتشابهان إلى قدر كبير من الغرض المرجو من استحضار دلاليتهما على المراد .

وبذلك يكون التناسب جزءاً من مكونات الجمال البلاغي الذي من الممكن ادخاله في الإعجاز القرآني لكتاب الله المجيد .

سادسًا: أهمية الخطاب القرآني:

يكاد يجمع بالرأي من أراد دراسة النص القرآني وفهمه على أنَّ التبخر في معاني الآيات القرآنية لا يعتمد على معرفة أسباب النزول ، أو علم المناسبات فقط، وإنما يكون بمعرفة ما يقتضيه الخطاب القرآني من وجوه بلاغية ، ومن روابط تناسبية ووحدة موضوعية معجزة هادفة.

ولنا أن نتساءل هنا- إذن- ما أهمية الخطاب القرآني؟

ولسنا هنا في هذه السطور بمعرض تفصيل القول بتلك الأهمية، لكن ما يهمنا في هذا الموضع من ذكر أهمية الخطاب توضيح الآتي:

١- ارتباط السياق القرآني بمعظم علوم القرآن ولزومه لها كنظرية النظم والمناسبة، والتفسير الموضوعي، وترتيب الآيات والسور، وغير ذلك ما يساعد في فهم الخطاب القرآني^(٣١).

٢- للخطاب القرآني أثرٌ في تحديد دلالة الألفاظ ومعانيها، فلولا تقييد السياق لبعض المعاني التي بالإمكان أن تكون مُرادَة، وغير مُرادَة لانفلتت عن قصد وغير قصد^(٣٢). أقول: وكيف يمكن لمراء حين يرجع البصر كرتين في كتاب الله عز وجل وهو متمعن في لغته العربية ألا يعرف دلالة الألفاظ ومعانيها من دون الرجوع للتناسب والنص والسياق القرآني؟

ولتتمعن في الوجوه والنظائر ، من ذلك لفظة (الصلاة) التي جاءت على أوجه متعددة^(٣٣)، الصلاة تعني الاستغفار أو الدعاء، قال تعالى: «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ» (سورة التوبة: من الآية ١٠٣)، هنا جاء الخطاب القرآني بأسلوب الأمر — فعل الأمر— (صَلِّ) بمعنى: استغفر لهم، والوجه الآخر للخطاب: الصلاة تعني: المغفرة، قال

تعالى: «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (سورة البقرة: الآية ١٥٧)، فالخطاب القرآني جاء ليبين أنَّ الصلاة الواردة في الآية المذكورة تعني المغفرة، والوجه الثالث للخطاب القرآني: الصلاة بمعنى الفريضة المعروفة كقوله تعالى: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» (سورة الإسراء: الآية ٧٨)، فالخطاب القرآني في الآية المذكورة جاء بصيغة الأمر (فعل الأمر) - أقم - الذي ناسب بين وقت الصلاة باستعمال (دلوك الشمس إلى غسق الليل) ... الخ، والوجه الرابع للخطاب: الصلاة: تعني بيوت الصلاة^(٣٤)، قال تعالى: «صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» (سورة الحج: من الآية ٤٠)، فتعدد معاني لفظة الصلاة يعود إلى الخطاب القرآني لأجل أفق المعنى بالتناسب بين الألفاظ والعلاقة بينها في النص الذي وردت فيه صيغ وتصريفات اللفظة.

أمَّا النظائر، فمن شواهد ما جاء في تفسير لفظة (البروج)، إذ أتت بمعنى (الكواكب) في كل المواضع التي وردت فيها في القرآن الكريم على اختلاف صيغها^(٣٥)، إلا في موضع واحد فقد جاءت لفظة (البروج) بمعنى القصور الطوال الحصينة^(٣٦)، بحسب تحديد الدلالة السياقية للنص وعلاقتها بالنظير وذلك في الخطاب القرآني، قال تعالى: «أَيُّنَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا» (سورة النساء: الآية ٧٨)، فالنص القرآني المتمثل بالخطاب (أيما تكونوا ...) حدد أتهم سيموتون ولو بعد حين في أماكن تواجدهم، أو أيما ذهبوا وصاروا، ما يدل على الأماكن وليس على الكواكب^(٣٧)، أقول: وما كان لتلك المعاني القرآنية - إذا جازت التسمية - أن

تعرف لولا السياق القرآني الذي يبين التناسب بالنتيجة الحتمية للحياة الدنيا وهي (الموت) الذي يأتي للإنسان أينما كان وأينما حلّ وارتحل ولذلك جاءت لفظة (بروج) لتناسب مقام الموت .

٣- علاقة التناسب القرآني ودلالة الترجيح كقول الشافعي: « وتبتدىء العرب الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره وتبتدىء الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله»^(٣٨)، وهذا النص يدل على وجوب الاعتماد على ركن مهم من أركان تفسير كتاب الله الحكيم وهو السياق القرآني ، ومن ثم معرفة العلاقة بين النص والسياق والتناسب^(٣٩). على أننا يجب ألا نغفل جانب المعنى ولا سيما في أغلب الآيات القرآنية التي تدعو إلى وحدانية الله تعالى^(٤٠).

سابعاً: أثر الخطاب القرآني في تبين التقديم والتأخير:

الأصل في الكلام أن يأتي مرتباً، فرتبة الفاعل قبل المفعول به، والمبتدأ قبل الخبر هذا فيما يتعلق بترتيب الجملة ، ولكن ثمة عارض أو غرض بلاغيّ أو نحوي لا تكون فيه الجملة مرتبة بحسب الصناعة النحوية المقيس عليها ، فيلجأ اللغوي العربي إلى وسائل تساعده في الوصول إلى مبتغاه في معرفة المقصود من الكلام.

إنَّ النظر الفاحص الدقيق في سياق الخطاب القرآني ، وإدراك التناسب بين الألفاظ له أثر كبير في معرفة التقديم والتأخير (٤١) فلا يستقيم المعنى إلا من طريقه، قال عبد القاهر الجرجاني: « هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية ولا زال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه...»^(٤٢).

ومن الشواهد على التقديم والتأخير في القرآن الكريم قوله تعالى: « وَلَوْلَا

كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى» (سورة طه: الآية ١٢٩).

« أي لولا الكلمة السابقة من الله، وهو أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، والأجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة، لجائهم العذاب بغتة»^(٤٣)، فالخطاب القرآني متضح في (كلمة سبقت) والصادر من الذات الإلهية ، هذا التناسب بين الألفاظ باستعمال التقديم ساعد في تبين الأفق المرجو للمعنى المقصود . وعلل ابن عطية هذا التقديم والتأخير بمراعاة الفواصل ورؤوس الآي^(٤٤).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: « وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ » (سورة الواقعة: الآية ٧٦)، « أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمتة لعظمة المقسم به عليه»^(٤٥) فتفسير القسم المذكور في الآية المباركة يبين التناسب بين الألفاظ من طريق التقديم والتأخير بين الألفاظ.

ومن طريق هذين الشاهدين يتبين لنا أثر الخطاب القرآني في القول بالتقديم والتأخير في معاني الآيات القرآنية الكريمة من حيث التناسب بين ألفاظ القرآن الكريم وعلاقة ذلك بالنص القرآني بعده وحدة عضوية متكاملة.

ثامناً: أثر الخطاب القرآني في تبين الحذف وتقديره:

الحذف ظاهرة مهمة وشائعة في لغتنا العربية لأجل الاختصار أو الإيجاز، قال ابن السراج: «المحذوفات في كلامهم كثيرة، والاختصار في كلام الفصحاء كثير موجود إذا أنسوا بعلم المخاطب ما يعنون»^(٤٦)، وما يهمننا في الحذف هو أن يكون في الكلام المذكور دلالة على المحذوف وتنكشف دلالته عن طريق الخطاب القرآني.

يقول الطاهر بن عاشور: «إِنَّكَ تَجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَرَائِبِ الْقُرْآنِ حَذْفًا، وَلَكِنْ لَا تَعْثُرُ عَلَى حَذْفٍ يَخْلُو الْكَلَامَ مِنْ دَلِيلٍ عَلَيْهِ مِنْ لَفْظٍ أَوْ سِيَاقٍ» (٤٧).

قال ابن كثير في تفسيره لقول الله عز وجل: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» (سورة الفاتحة: الآية ٧) أي: غير صراط المغضوب عليهم واكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف، وقد دلَّ عليه الخطاب القرآني عن طريق سياق الكلام وتناسب الألفاظ، وهو قوله تعالى: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، ثم قال تعالى: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» (٤٨).

فدَلَّ التناسب بين الألفاظ القرآنية - الصراط الذي ناسبه لفظ المستقيم... الخ - على المحذوف وهو المضاف (صراط) فيكون التقدير: (غير صراط المغضوب عليهم) وناسب هذا التقدير سياق الآية: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» (سورة الفاتحة: الآيتان ٦-٧).

ومن ذلك أيضًا حذف المضاف، قال تعالى: «وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ» (سورة يوسف: الآية ٨٢)، أي: أهل القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما لو كان عاملاً في الأهل (٤٩)، فالبعد الدلالي للآية يقودنا إلى الإقرار بالسؤال كيف يمكن أن تسأل القرية وهي لا تعقل فدَلَّ الخطاب القرآني المتمثل بفعل الأمر (أسأل) للقرية التي لا تعقل، ولكنَّ اللبس قد زال بقوله: (كنا فيها)، و (والعير التي أقبلنا عليها) كل هذه الأشياء تدلُّ على حركة وحياة، ثم قال: (وإنا لصادقون) والصدق سمة من سمات التكلم والبشر، إذ إنَّ قرينة التناسب بين الألفاظ سواء أكانت مذكورة أم محذوفة دللتنا على أنَّ الخطاب القرآني مقصود في

اختيار ألفاظٍ من دون غيرها ، فضلاً عن التناسب المقصود بينها ، كل ذلك خدمة لأفق المعنى.

تاسعاً: أثر الخطاب القرآني في الوقف والابتداء:

تتضح الكثير من المعاني عن طريق الوقف على كلمة محددة في الجملة أو الآية المباركة وما إلى ذلك ، كذلك يوضح الابتداء المعاني المطلوبة في النص . يقول الزركشي عن الوقف: « هو فن جليل، وبه يعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك: فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة وبه تتبين معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات»^(٥٠)، فنطق الآية نطقاً سياقياً صحيحاً، مراعيّاً فيه الوقف والابتداء يساعد القارئ على فهم المعنى عن طريق التنغيم بالنطق .

فعلى سبيل التمثيل لا الحصر لو وقف القارئ على قوله تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا»، (سورة المائدة: من الآية ١٧، وجزء من الآية ٧٣)، ثم ابتدأ بعد ذلك بقوله: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»، (سورة المائدة: من الآية ١٧)، أو: «إِنَّ اللَّهَ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، (سورة المائدة: الآية ٧٣)، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- لظهر معنى مستحيلاً في الخطاب القرآني يناقض المراد من الآية تماماً بل من تعمد هذا وقصد معناه كفر^(٥١)، وينبغي الفهم أنّه ما كان لتلك المعاني المقصودة أو غير المقصودة أن تعرف وتظهر لدى القارئ لولا المعرفة بتناسب الألفاظ ومن ثم تناسب المعنى المراد الذي ينسجم وطبيعة العقل البشري ، والتنغيم في قراءة القرآن الكريم الذي أظهر لنا المعنى جلياً وذلك عن طريق معرفة الوقف والابتداء الذي هو سمة من سمات الخطاب وما يقصده من أغراض تكون مرادة لتحقيق وإقرار وحدانية الله سبحانه وتعالى.

عاشراً: أثر الخطاب القرآني في تبين الوصل والفصل:

قرّ في أذهاننا أنّ الوصل هو عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل هو ترك هذا العطف بين الجملتين والمجيء بها منشورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى (٥٢).

فمن الوصل قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ »، (سورة التوبة: الآية ١١٩)، فجاء الخطاب القرآني بصيغة النداء - (حرف النداء يا) - للذين آمنوا بأن يتقوا الله ويكونوا مع الصادقين ، فالإيمان يناسبه التقوى ، والإيمان والتقوى يناسبهما الصدق وليس الكذب ؛ إذ عطف جملة: وكونوا على ما قبلها، ولو قلت في غير القرآن: اتقوا الله كونوا مع الصادقين لما أحسست بالمعنى المراد المرجو في الترابط والتناسق بين الجملتين والفيصل في قبول ذلك أفق المعنى هو الترابط والتماسك بين ألفاظ القرآن الكريم.

أمّا الفصل فهو كقوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»، (سورة الأعراف: الآية ٤٢)، والكلام في الآية المذكورة عن المؤمنين العاملين الصالحات ، إذ اقترن الإيمان بالعمل ، فقد خاطبهم الله سبحانه بأنهم أصحاب الجنة ، ولا شك في أنّ جزاء الله تعالى للعمل الصالح الخلود في الجنان هذا أمر ، والأمر الآخر يتجلى في قوله جلّ وعلا: « لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا »، إذ هي جملة معترضة فصلت بين المبتدأ والخبر، وما كان للقارئ أن يعرف ذلك الفصل لولا معرفته بالترابط بين المفردات والجمل في الآية المباركة المذكورة آنفاً. ومن الفصل كذلك قوله تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣)»، (سورة الشعراء: الآيتان ١٣٢-١٣٣)، إذ جاء الخطاب القرآني في الحث على التقوى ، فناسب ذلك الحث التذكير بما أعطاهم

الله تعالى من نعم ؛ إذ أمدّهم بأنعام وبنين ولذلك وجبت عليهم تقوى الله وهم يعلمون علم اليقين بمصدر هذه النعم هذا أمر ، والأمر الآخر دلاليّ تمثل بما حصل من اتحاد بين جملتين هما: (أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ)، و(أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ)، وهذا الامتزاج المعنوي جاء بسبب تنزل الجملة الثانية منزلة الجملة الأولى، فترك الربط بين الجملتين ؛ لأنّهما ممتدتان في أفق المعنى وما كان ليعرف ذلك لولا معرفة النص القرآني وترابط كلماته وتتابعها^(٥٣).

حادي عشر: أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى:

أحببت أن أختم البحث بهذا الموضوع وإنّ تضمنته الفقرات السابقة محل الدرس والتحليل ضمناً ؛ فلنوع الخطاب القرآني وظائف كثيرة لكن أهم وظيفة له هي تبين المعنى، ونحتاج في إيضاح المعنى إلى معونة قرينة السياق، ويتبين أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى عن طريق السياق في الفقرات الآتية^(٥٤) التي سنسلط الضوء عليها في الأسطر الآتية من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

وسأكتفي بذكر أنموذج تطبيقي لكل فقرة.

- أ- أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى للآية الواحدة.
- ب- أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى للآيات المتتابعة.
- ت- أثر الخطاب القرآني في تبين المخاطب أو الموصوف في الآيات.

أ / أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى للآية الواحدة:

لو تصفحنا كتب التفسير وتمعنا في تفسير ابن كثير - على سبيل التمثيل - سنجد أنّه يعتمد على السياق القرآني في تبين المعنى لآيات القرآن الكريم^(٥٥)، فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ»، (سورة

آل عمران: الآية ٩١)، « أي: من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبدًا، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبًا فيما يراه قربة، كما سئل النبي (ص) عن عبدالله بن جدعان- وكان يقري الضيف، العاني، ويطعم الطعام-: هل ينفعه ذلك؟ فقال: لا، إنَّه لم يقل يومًا من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين، وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضًا ذهبًا ما قبل منه» (٥٦).

ووجه ما ذهب إليه بتفسير الآية قائلًا: قال تعالى: « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به»، فعطف « ولو افتدى به»، على الأول، فدل على أنَّه غيره، وهذا الوجه أحسن من أن يقال: إنَّ الواو زائدة ويقتضي ذلك ألا ينقذه من عذاب الله شيء، ولو كان أنفق مثل الأرض ذهبًا، ولو افتدى بنفسه من الله بملء الأرض ذهبًا، بوزن جبالها وتلالها وتراها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها» (٥٧).

وقد اتضح معنى هذا الخطاب القرآني - (إنَّ الذين كفروا وماتوا...) - عن طريق سياق الآية ، وقد ناسب الكفر بالله تعالى عدم قبول رب العالمين فدية منهم ملء الأرض ذهبًا ، ثم إنَّ النتيجة المتوخاة هي العذاب المتسم بسمة (الأليم) وربما هو أكثر وقعًا من الشديد ، ويناسب ذلك عدم وجود الناصرين ، فغاير السياق بواو العطف التي تقتضي المغايرة بين قبول ملء الأرض ذهبًا، والافتداء بملء الأرض ذهبًا، فتكون الحال الأولى في الدنيا؛ لأنَّها محل قبول وعمل الأعمال الصالحة، والحال الثانية في الآخرة؛ لأنَّها محل الرغبة بالافتداء من العذاب من الكفار.

أمَّا القول الثاني فهو غير مقبول؛ لأنَّه لا زائد في القرآن الكريم؛ فالواو ليست زائدة، وهي من حروف المعاني، وأمكن حملها على أحد معانيها المناسبة للسياق فلا يقال بزيادتها (٥٨)، وقد قال بهذا القول الزجاج (٥٩)، واستحسنه ابن عطية (٦٠)، ومن

هذا النموذج التطبيقي المذكور آنفاً يتبين لنا أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى للآية الواحدة بقرينة السياق.

ب / أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى للآيات المتتابعة:

مرّ بنا في الكلام المذكور آنفاً أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى للآية الواحدة أمّا هنا فإننا نتحدث عن أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى للآيات المتتابعة، ومن النماذج التطبيقية على هذا الأمر ما يأتي:

ورد عن ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (سورة الصف: الآيتان ١٠-١١).

أنّه قد فسّر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور والتي جاءت على طريقة الاستئناف البياني، وهي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور، أي: من تجارة الدنيا، والكد لها والتصدي لها وحدها^(٦١).

وقد اتضح معنى الأسلوب التركيبي للخطاب القرآني باستعمال أسلوب النداء - حرف النداء يا - للذين آمنوا، ثم السؤال لهم (هل أدلكم ؟) على تجارة فيها نجاة من عذاب ناسبه أن يوسم بـ(الآليم) لغير المؤمنين بالله وبرسوله، وهذه التجارة المربحة هي الطريق المؤدي لرضا الله سبحانه فقال: «تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» ثم إنَّ الجهاد يستلزم بذل ما هو أهم عند الإنسان وهو المال لذلك جاء محله التقديم على النفس، كل ذلك البذل هو خير للإنسان إن كان يعلم بنتيجة بذله.

ت / أثر الخطاب القرآني في تبين المتكلم أو المخاطب أو الموصوف في الآيات:

علمنا في ما سبق أثر الخطاب القرآني في تبين المعنى للآية الواحدة، وللآيات

المتابعة، سنستدل هنا عن طريق أنموذج تطبيقي على أثر الخطاب القرآني في تبين المتكلم أو المخاطب أو الموصوف في الآيات.

قال تعالى: « قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ » (سورة يوسف: الآية ٥١) عندما نتأمل الآية المباركة يتضح لنا الأسلوب التركيبي للخطاب القرآني بـ... قوله تعالى: « قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يوسف عن نفسه إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قَطَّعنَ أيديهنَّ عند امرأة العزيز، فقال مخاطبًا لهنَّ كلهنَّ - وهي امرأة وزيره، وهو العزيز: « ما خطبك، أي: شأنك وخبرك » إذا رَاوَدْتَنِّي يوسف عن نفسه » يعني: يوم الضيافة (قلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ما علمنا عليه من سوء)، أي: قالت النسوة جوابًا للملك: حاشَ لله أن يكون يوسف متهمًا، والله ما علمنا عليه من سوء » (٦٢).

فالمتكلم في هذا الخطاب هو الملك، والمُخَاطَب: هنَّ النسوة، والموصوف بقوله تعالى: « ما علمنا عليه من سوء »، هو: يوسف وكل هذه الأشياء المتناسبة في الترتيب مستمدة من سياق الآيات القرآنية وهو ركيزة أساس من ركائز الخطاب.

فأمَّا المتكلم والمخاطب: فيدل عليهما سياق الآية وهو قوله تعالى: « وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيَنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ » (سورة يوسف: الآية ٥٠)، ثم جاءت هذه الآية « قال ما خطبك إذ رَاوَدْتَنِّي يوسف عن نفسه »، فقوله: « قال » عائد على الملك (المتكلم)، وقوله: « ما خطبك » عائد على النسوة اللاتي قَطَّعنَ أيديهنَّ (المخاطب).

أمَّا الموصوف: ضمن سياق الآية، وسياق السورة، فأمَّا سياق الآية فقبله قوله: « قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ما علمنا عليه من سوء »، إذ سألهنَّ الملك: « ما خطبك إذ

راودتن يوسف عن نفسه»، فكان جوابهنّ: «ما علمنا عليه من سوء» أي: ما علمنا على يوسف من سوء (٦٣).

أمّا سياق السورة، فلأنه كله في ذكر قصة يوسف.

وفي ختام البحث أقول: إنّ ما ذكرته في هذا البحث هو نزر قليل جدّاً؛ لأنّ الكلام عن الخطاب القرآني وأثره في تبين المعنى يطول ويكثر ولكني اقتصرت على الأهم الأهم على الرغم من كون الأهم لا يلغي وينفي وجود المهم؛ فمن رأيي - وأرجو ألا أكون قياسيًّا فيه - أنّ الخطاب القرآني المتمثل في تتابع المفردات وتناسبها، والجمال والتراكيب القرآنية المترابطة، والتناسب الحاصل بين المعاني الجزئية وقرينة السياق كل ذلك يؤدي إلى أفق المعنى.

هذه العبارة المذكورة آنفاً تغني عن الكلام الكثير عن الخطاب القرآني؛ لذلك صار هذا المعنى، وهذا الغرض من أهم ما يرمي إليه المفسرون في الالتكاء على السياق القرآني؛ لمعرفة معنى الآية أو الآيات القرآنية المقصودة في الخطاب القرآني وترجيح معنى على معنى، لذا تعد أصلاً من أصول التفسير، وهناك أمر آخر أود أن أذكره وهو أنّ السياق هو الذي يوجّه دلالة لفظة معينة نحو معنى معين بعد أن كانت تتنازعها معانٍ متعدّدة، لكن السياق يحدّد معنى واحداً.

وبهذا يكون الخطاب القرآني المتمثل بالتناسب بين الألفاظ وتوجيه السياق للنص هو الكاشف عن قناع المعنى؛ فالألفاظ محدودة متناهية والمعاني ليست محدودة أو متناهية ووسيلة معرفة المعاني وتحديدتها بدقة هي من الأبعاد المهمة للنص القرآني.

الخاتمة

في نهاية كل عملٍ لا بدَّ أن تكون له نتائج، ومن النتائج التي نسجلها في بحثنا - محل الدراسة - ما يأتي:

١ / إنَّ الخطاب القرآنيّ تظهر آثاره الدلالية على النسق اللغوي الذي يتشكل وفق قدرة المتلقي اللغوية بناء على مقام المتلقي الذهني والنفسي والاجتماعي ، فالتركيب الخطابي المتناسك والمنسجم إلى أصول التخاطب أو سياق المقام سيكون أداة طيعة لأجل النصّ من حيث وحداته اللفظية المشكلة للنسق التركيبي بحيث يؤدي إلى فتح أفقه الدلالي على التأويل بتوفير انسجام التركيب واتساقه .

٢ / الخطاب القرآنيّ يمكن تمييزه من الكلمة المفردة الواردة مع سياق تخاطبيّ معين ، أو من النص كمجموعة من الكلمات المتسقة المنسجمة المعبرة .

٣ / التناسب القرآنيّ وسيلة من وسائل تبين المعنى ، وهو صورة بلاغيّة جميلة تسهم في إثراء النصّ القرآنيّ بالتحدي والإعجاز .

٤ / يتضح التناسب الدلاليّ من طريق الترابط بين المفردات ، لغرض تطلبه المفردة، فالكلمة تطلب الكلمة المناسبة لمجاورتها دون غيرها من الكلمات بحيث يشعر القارئ أنَّ هناك ثمة صلة قرابة بين هذه اللفظة وتلك اللفظة ما يؤدي إلى الترابط بين النصّ اللغوي .

٥ / يمكن للمتلقي أن يستمتع بالنغم الموسيقيّ الدلالي للخطاب القرآنيّ عن طريق الإيقاع البلاغي لمن يريد التحليل لبنية اللفظة القرآنية المجاورة لللفظة الأخرى ، وكل ما تقدم يسهم في إثراء النصّ بالدلالة الغزيرة .

* هوامش البحث *

- (١) مقاييس اللغة: ٣ / ١١٧ .
- (٢) لسان العرب: مادة (سوق): ١٠ / ١٦٦ .
- (٣) ينظر: دلالة السياق، أطروحة دكتوراه، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الصالحي: ٣٢ .
- (٤) استنباط معاني المصطلحات من السياق: ١ .
- (٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
- (٦) دلالة السياق: ٣٧ .
- (٧) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، د. مؤيد آل صوينت: ١٠ .
- (٨) مختار الصحاح: ١ / ١٠٧ .
- (٩) مقاييس اللغة: ٣ / ١٢٩ .
- (١٠) هو يسيع بن معدان الحضرمي، وثقه النسائي، وقال ابن المديني: معروف، وذكره ابن حبان في الثقات، ينظر: الثقات: ٥ / ٥٥٨، تهذيب التهذيب: ٤ / ٤٣٨، أثر دلالة السياق - قصة هود، رسالة ماجستير، تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث: ٧١ .
- (١١) ينظر: تفسير الطبري: ٥ / ٤٤٤ .
- (١٢) مقاييس اللغة: ٥ / ٢٣٨ .
- (١٣) تاج العروس، مادة (حق): ٧ / ٦١ .
- (١٤) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري الضريير الأكمه، ت ١١٧هـ، ينظر: سير اعلام النبلاء: ٥ / ٢٦٩، وأثر دلالة السياق - قصة هود: ٧٢١ .
- (١٥) ينظر: تفسير الطبري: ٧ / ١٣٧ .
- (١٦) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٦١ .
- (١٧) ينظر: الخطاب القرآني إعجاز متجدد، الشيخ الدكتور أحمد عبيد الكبيسي: ٣٣ .
- (١٨) ينظر: أثر دلالة السياق - قصة هود: ٧٣ .
- (١٩) ينظر: السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلال، مثنى عبد الفتاح محمود: ٢٦ .
- (٢٠) الرسالة: ٥٢ .

- (٢١) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٣٧.
- (٢٢) ينظر: جمالية الخطاب القرآني برؤية معاصرة، د. سلام كاظم الأوسي: ٣٩.
- (٢٣) كتاب التفسير، العياشي: ١ / ١١، وينظر: البحث الدلالي في الميزان: ١٠٨.
- (٢٤) ينظر: أثر السياق القرآني في الترجيح بين المعاني، وضاح كافي العزاوي: ٨٩.
- (٢٥) نظرية السياق القرآني: ١٥.
- (٢٦) مقاييس اللغة، مادة (نسب): ٥ / ٤٢٣.
- (٢٧) نظم الدرر في تناسب السور: ١ / ٥.
- (٢٨) المصدر نفسه، الجزء والصحيفة نفسها.
- (٢٩) علم المناسبات في السور والآيات، محمد بن عمر بن سالم البازمول: ٢٧.
- (٣٠) المناسبة في القرآن الكريم، محمود حسن عمر جودة: ٩.
- (٣١) ينظر: أثر السياق القرآني في الترجيح بين المعاني: ٩٧.
- (٣٢) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٣٣) ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني: ٩٤.
- (٣٤) ينظر: هامش أثر السياق القرآني في الترجيح بين المعاني: ٩٨ - ٩٩.
- (٣٥) ينظر: الاتقان، السيوطي: ٢ / ٤٤٥، وبحوث منهجية في علوم القرآن، موسى الأبراهيم:
- (٣٦) ينظر: الكشف، الزمخشري: ١ / ٥٢٧.
- (٣٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١ / ٦٩٩.
- (٣٨) الرسالة: ٥٢.
- (٣٩) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د. خلود العموش: ١٢٧ - ١٣٠.
- (٤٠) ينظر: الخطاب القرآني (القرآن مرجعية للخطاب النهضوي)، د. سعد كموني: ٢٣.
- (٤١) ينظر: الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص، د. أيوب جرجيس العطية: ١٥.
- (٤٢) دلائل الإعجاز: ٢٢٣.
- (٤٣) تفسير القرآن العظيم: ٥ / ٣٢٥.
- (٤٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٦ / ١٤٤.
- (٤٥) تفسير القرآن العظيم: ٧ / ٥٤٤.

- (٤٦) الأصول: ٢ / ٣٢٤.
- (٤٧) مقدمة التحرير والتنوير: ١ / ١١٩.
- (٤٨) تفسير القرآن العظيم: ١ / ١٤٢.
- (٤٩) ينظر: الكتاب: ١ / ٢١٢.
- (٥٠) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٣٤٢.
- (٥١) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٣٥٣.
- (٥٢) ينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ١٧٠.
- (٥٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٩.
- (٥٤) ينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير، عبد الرحمن عبد الله جرمان المطيري، رسالة ماجستير: ٢٠٢.
- (٥٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٣.
- (٥٦) تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٧٢.
- (٥٧) المصدر نفسه: ٢ / ٧٢.
- (٥٨) ينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير: ٢٠٤.
- (٥٩) معاني القرآن: ١ / ٤٤١.
- (٦٠) المحرر الوجيز: ٢ / ٢٨٢.
- (٦١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٨ / ١١٢.
- (٦٢) المصدر نفسه: ٤ / ٣٩٤.
- (٦٣) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها، والسياق القرآني وأثره في التفسير: ٢١٠ - ٢١١.

* المصادر والمراجع *

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

- ١- أثر السياق القرآني في الترجيح بين المعاني، وضاح كافي حلومي العزاوي، (د. ط)، (د. ت).
- ٢- استنباط معاني المصطلحات من السياق، ريبا الجرف، (د. ط)، (د. ت).
- ٣ - البحث الدلالي في الميزان، الطوسي، (د. ط)، (د. ت).
- ٤ - البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩ هـ.
- ٥ - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد محمد أبو موسى، ط ٢، مكتبة وهبة، ١٤٠٨ هـ.
- ٦ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، (د. ط)، (د. ت).
- ٧- تفسير ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (د. ط)، (د. ت).
- ٨ - تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠١ هـ.
- ٩ - تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
- ١٠- الثقات، أبو حاتم محمد بن حيان التميمي، تح: شرف الدين أحمد، ط ١، دار الفكر، ١٣٩٥ هـ.
- ١١ - جمالية الخطاب القرآني برؤية معاصرة، د. سلام كاظم الأوسي، ط ١١، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع - العراق، ٢٠١٤ م.
- ١٢ - الخطاب القرآني إعجاز متجدد، الشيخ الدكتور أحمد عبيد الكبيسي، ط ١، دار المعرفة - بيروت، لبنان، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- ١٣ - الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص، د. أيوب جرجيس العطية، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٧١ م.
- ١٤ - الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، د. مؤيد آل صوينت، ط ١، مكتبة الحضارات،

- بيروت - لبنان، ١٤٣١ هـ - - ٢٠١٠ م.
- ١٥ - الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق ، د. خلود العموش ، ط١١ ، الجامعة الهاشمية ، عمان - الأردن ، ١٤٢٩ هـ - - ٢٠٠٨ م .
- ١٦ - الخطاب القرآني (القرآن مرجعية للخطاب النهضوي) ، د. سعد كموني ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٨ م .
- ١٧- الرسالة، محمد بن ادريس أبو عبد الله الشافعي، تح: احمد محمد شاكر، ط٨، القاهرة، ١٣٥٨ هـ.
- ١٨- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣ هـ.
- ١٩ - علم المناسبات في السور والآيات ، محمد بن عمر بن سالم البازمول ، ط١ ، المكتبة الملكية ، باب العمرة - مكة المكرمة ، ٢٠٠٢ م .
- ٢٠- كتاب التفسير، محمد بن مسعود العياشي، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية، (د.ط)، (د.ت).
- ٢١ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٧٤ هـ.
- ٢٢- المحرر الوجيز في الكتاب العزيز، عبدالحق بن غالب، تح: المجلس العلمي، ط٢، المملكة المغربية، ١٩٨٢ .
- ٢٣- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان- ناشرون، ط٥، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- ٢٤- معاني القرآن واعرابه، أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط١١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨ .
- ٢٥- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، (د.ط)، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٩ .
- ٢٦ - المناسبة في القرآن الكريم ، محمود حسن عمر جودة ، شبكة الألوكة ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ٢٧- نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، المثني عبد الفتاح محمود، ط١، دار وائل، الأردن، ٢٠٠٨ .
- ٢٨ - نظم الدرر في تناسب السور ، للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥ م .

ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

- ١- أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المشابه اللفظي في القصص القرآني في قصة هود، تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث، إشراف د. عبد العزيز عزت، ٢٠٠٧.
- ٢- دلالة السياق، أطروحة دكتوراه، ردة الله بن ردة بن صنيف الله الطلحي، إشراف د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي.
- ٣- السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، أطروحة دكتوراه، المثنى عبدالفتاح محمود محمود، إشراف د. فضل حسن عباس، ٢٠٠٥.
- ٤- السياق القرآني وأثره في التفسير، رسالة ماجستير، عبدالرحمن عبدالله سرور جرمان المطيري، إشراف د. خالد بن عبدالله القريشي، ٢٠٠٨.

